بسم الله الرحمن الرحيم

[تفريغ المجلس ٠٣]

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا، من يهدي الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله -صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا- أما بعد:

فإن خير الكلام كلام الله تعالى، وخير الهدى هدى محمد صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

[التعلق بالدنيا يضر عمل الآخرة]

انتهينا في الدرس الماضي إلى ذكر بعض الفوائد التي أشار إليها العلماء في الحديث الأول من الأربعين النووية، حديث (**إنما الأعمال بالنيات**)، ونختم بفائدة أخيرة، في قوله صلى الله عليه وسلم (**فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ فَهِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ لِدُنْيَا يُصِيبُهَا أَوْ امْرَأَةٍ يَنْكِحُهَا فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ**) فهاهنا ذكر العمل للآخرة في مقابل الدنيا والنساء، وهذا يدل على أن أضر شيء على العبد في عمل لآخرته هي الدنيا، (**وَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ لِدُنْيَا يُصِيبُهَا**) فالذي يفسد على العبد عمله للآخرة هي الدنيا.

وأيضا أمر النساء، فيحذر المسلم وليكن على حذر في هذا الباب، وقد ذكر النبي صلى الله عليه وسلم أنه أخوف ما يخاف على أمته المال والنساء، وأيضا جاء في الحديث أنه مما يخاف على هذه الأمة الدنيا (**ولكن أخشَى عليكم أن تُبسَطَ عليكمُ الدُّنْيا، كما بُسِطَتْ علَى مَن كان قبلكم، فَتَنافَسوها كما تَنافَسوها، وتُلْهيَكُم كما ألْهَتْهُمْ**)[1]، فهذه فائدة تستفاد من الحديث.

[الحديث الثاني: حديث جبريل عليه السلام]

أما الحديث الثاني، فهو حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

---

[1] [رواه الشيخان]

(عَنْ عُمَرَ (رضي الله عنه) أَيْضًا قَالَ: "بَيْنَمَا نَحْنُ جُلُوسٌ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) ذَاتَ يَوْمٍ، إذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ، شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعْرِ، لَا يُرَى عَلَيْهِ أَثَرُ السَّفَرِ، وَلَا يَعْرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ. حَتَّى جَلَسَ إلَى النَّبِيِّ (صلى الله عليه وسلم). فَأَسْنَدَ رُكْبَتَيْهِ إلَى رُكْبَتَيْهِ، وَوَضَعَ كَفَّيْهِ عَلَى فَخِذَيْهِ، وَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ أَخْبِرْنِي عَنْ الْإِسْلَامِ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) الْإِسْلَامُ أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إلَهَ إلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ، وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إنْ اسْتَطَعْت إلَيْهِ سَبِيلًا. قَالَ: صَدَقْت. فَعَجِبْنَا لَهُ يَسْأَلُهُ وَيُصَدِّقُهُ! قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنْ الْإِيمَانِ. قَالَ: أَنْ تُؤْمِنَ بِاَللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ. قَالَ: صَدَقْت. قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنْ الْإِحْسَانِ. قَالَ: أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّك تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاك. قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنْ السَّاعَةِ. قَالَ: مَا الْمَسْئُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنْ السَّائِلِ. قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنْ أَمَارَاتِهَا؟ قَالَ: أَنْ تَلِدَ الْأَمَةُ رَبَّتَهَا، وَأَنْ تَرَى الْحُفَاةَ الْعُرَاةَ الْعَالَةَ رِعَاءَ الشَّاءِ يَتَطَاوَلُونَ فِي الْبُنْيَانِ. ثُمَّ انْطَلَقَ، فَلَبِثْنَا مَلِيًّا، ثُمَّ قَالَ: يَا عُمَرُ أَتَدْرِي مَنْ السَّائِلُ؟ قُلْتُ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: فَإِنَّهُ جِبْرِيلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ" رَوَاهُ مُسْلِمٌ رقم:٨).

[كلمة بين يدي شرح الحديث]

وتفرد بروايته مسلم ولم يروه البخاري، وهذا الحديث هو أول حديث رواه مسلم في صحيحه، فالنووي رحمه الله أول حديث ذكره هو أول حديث ذكره البخاري في صحيحه، وثاني حديث هو أول حديث ذكره مسلم في صحيحه، ومثله فعل الإمام البغوي في كتابيه "**شرح السنة**"، وأيضا "**مصابيح السنة**" والحديث كما ذكرت هو حديث عمر رضي الله عنه، وقد رواه مسلم ولم يروه البخاري عن عمر، وإنما رواه بلفظ قريب منه، أو نحوه، من حديث أبي هريرة، وقد شاركه فيه مسلم رحمة الله على الجميع، وهذا الحديث هو حديث عظيم، وقد جمع جميع شرائع الدين، ومعالمه، ولهذا قال صلى الله عليه وسلم في آخر الحديث (**يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ**)، ولذلك قال القاضي عياض: إن هذا الحديث قد جمع الاعتقاد والأحكام، وما يتعلق بالآخرة، وأشراط الساعة، وجملا من المواعظ كالإشارة إلى الإحسان، قال: ولذلك بنينا عليه كتابنا المقاصد الحسان فيما يلزم الإنسان[1].

[1] [شرح النووي على صحيح مسلم (١٥٨/١)]

وذكر أيضا أنه حُقّ لهذا الحديث أن يسمى بأمّ السنة، كما أن الفاتحة هي أم الكتاب، فحديث جبريل هو أمّ السنة[1]، ولذلك كثر بيان العلماء لاشتمال هذا الحديث على مقامات عظيمة ومسائل كثيرة وكثيرة جدا كما أشرنا إليها.

[مناسبة حديث جبريل -عليه السلام-]

والحديث كما ذكرتُ رواه مسلم وتفرد في روايته، وصحابيه عمر بن الخطاب وقد سبقت ترجمته، وللحديث قصة، ذكرها مسلم في صحيحه في رواية هذا الحديث، حيث رواه من طريق كهمس عن عبد الله بن بُريدة، عن يحيى بن يَعمر قال (**كَانَ أَوَّلَ مَنْ تَكَلَّمَ فِي الْقَدَرِ بِالْبَصْرَةِ مَعْبَدٌ الْجُهَنِيُّ فَانْطَلَقْتُ أَنَا وَحُمَيْدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْحِمْيَرِيُّ حَاجَّيْنِ، أَوْ مُعْتَمِرَيْنِ، فَقُلْنَا: لَوْ لَقِينَا أَحَدًا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَسَأَلْنَاهُ عَمَّا يَقُولُ هَؤُلَاءِ فِي الْقَدَرِ، فَوَفَّقَ اللَّهُ لَنَا عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ دَاخِلًا فِي الْمَسْجِدِ**) في المدينة (**فَاكْتَنَفْتُهُ أَنَا وَصَاحِبِي**) عن يمينه وعن يساره (**فَظَنَنْتُ أَنَّ صَاحِبِي سَيَكِلُ الْكَلَامَ إِلَيَّ، فَقُلْتُ: أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ، إِنَّهُ قَدْ ظَهَرَ قِبَلَنَا نَاسٌ يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ وَيَتَقَفَّرُونَ الْعِلْمَ يَزْعُمُونَ أَنْ لَا قَدَرَ، وَالْأَمْرَ أُنُفٌ، فَقَالَ**) ابن عمر رضي الله عنهما (**إِذَا لَقِيتَ أُولَئِكَ فَأَخْبِرْهُمْ أَنِّي بَرِيءٌ مِنْهُمْ، وَهُمْ بُرَآءُ مِنِّي، وَالَّذِي يَحْلِفُ بِهِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ لَوْ أَنَّ لِأَحَدِهِمْ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا فَأَنْفَقَهُ مَا قَبِلَهُ اللَّهُ مِنْهُ حَتَّى يُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ وإنه قد حدثني أبي أنه قال...**) وذكر الحديث.

من أسباب رواية ابن عمر لهذا الحديث مسألة القدر، التي أثيرت في ذلك الزمان، والمراد بالقدر كما سيأتي في أركان الإيمان، ما أحدثه الناس في هذا الركن ألا وهو ركن الإيمان بالقدر، فمن الناس من ينكره، ويقول: لا قدر والأمر أنف، أي أن العبد هو الذي يخلق فعله، والله لا يعلم فعل العبد إلا بعد أن يعملَه، وتُقابل هؤلاء طائفة أخرى غالية كذلك تقول بإثبات القدر، غلوًّا فيه، وأن العبد مجبر على كل شيء، فهو في كلّ أحواله طائع لله ولو في ارتكاب المعصية، لأنه مستسلم لما قضاه الله عليه وقدره له، وهاتان طائفتان وفرقتان -يقول العلماء- من المبتدعة القدرية والجبرية، يتوسط أهل السنة والجماعة، يثبتون القدر بأركانه الأربعة كما سيأتي.

[1] [فتح الباري لابن رجب ١٢٥/١، قال ابن رجب: قال القرطبي هذا الحديث يصلح أن يقال له أم السنة لما تضمنه من جمل علم السنة]

[فوائد من مناسبة حديث جبريل -عليه السلام-]

فيقول يحي بن يعمر أن أول من تكلم في القدر بالبصرة هو معبد الجهني، يعني هذا في الزمن القديم، وهذا يدل على أن هذه البدعة كان لها شيء من الأثر قد ظهر، وإن كان لم ينتشر انتشارا كما وقع بعد ذلك، فكان ممن أثار ذلك هذا الرجل مبعد الجهني، وقد ذُكر أنه كان فيمن خرج على الحجاج، وقُتل سنة٨٠هـ فكان من خبيث أفكاره مسألة القدر، فجاء هذان الرجلان يحي وعبد الرحمن يسألان.

ومن الفوائد أن المسائل إذا وقعت للناس، فالواجب هو الرجوع إلى أهل العلم، وبخاصة الراسخين وكبارهم، وأيضا من الفوائد أنه مما ينبغي أن يغتنم في العمرة والحج سؤال العلماء، كما ذكر (**فَانْطَلَقْتُ أَنَا وَحُمَيْدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْحِمْيَرِيُّ حَاجَّيْنِ، أَوْ مُعْتَمِرَيْنِ، فَقُلْنَا: لَوْ لَقِينَا أَحَدًا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**).

ومن الفوائد ماكان عليه التابعون من تعظيم الصحابة الكرام ونسبة العلم إليهم، واعتقادهم فيهم أنهم على علم، يستفيدون منه، لأنهم أخذوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ومن الفوائد أيضا أدب الزمالة، لأن يحي بن يعمر قال (**فَظَنَنْتُ أَنَّ صَاحِبِي سَيَكِلُ الْكَلَامَ إِلَيَّ**)، فهما زميلان في سفر، وينبغي للزملاء في السفر والحضر أن يكون بينهما أدب عالٍ، ومن ذلك عدم الاستئثار بالشيء، والفوت فيه، فقال يحي أنه لم يبادر ابن عمر بالكلام، يريد بذلك أن يفوت الفرصة عن عبد الرحمن، وإنما كان يعتقد أنه يرى أن زميله أنه سيكل إليه الكلام، ذكر بعض الشراح أن يحي كان له بسطة في الكلام، وفي اللسان، وكان لسنا، فكان يظن أن زميله يظل إليه الكلام ولهذا بادر، فسأل ابن عمر.

ومن الفوائد ذكر العالم الدليل في المسألة، لأن ابن عمر قال الذي لا يؤمن بالقدر ما له عمل، الدليل! ذكره.

ومن الفوائد قد يذكر الدليل كله ليس وجه الشاهد فقط، كان يمكن أن يقول: الإيمان أن تؤمن بالله والملائكة والكتب والرسل واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره، لكن هو ذكر الحديث كله.

ومن الفوائد أن السنة دليل من الأدلة الشرعية على المسائل العلمية.

ومن الفوائد تعظيم ركن الإيمان بالقدر.

ومن الفوائد أن إيمان العبد لا يسلم إلا بتحقيق الإيمان بالقدر، ودليله أن ابن عمر رضي الله عنه قال **(مَا قَبِلَهُ اللَّهُ مِنْهُ حَتَّى يُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ)**.

ومن الفوائد أن العمل مهما كان عظيما فإذا خلا من الإيمان بالقدر لا يساوي شيئا، ولهذا قال صلى الله عليه وسلم (إنه **ليأتي الرجلُ العظيمُ السمينُ يومَ القيامةِ، لا يزنُ عند الله جناحَ بعوضةٍ)**[1] فهذا من فوائد الحديث أيضا.

[هل القدرية كفار؟]

وهل يستفاد أن ابن عمر رأى أنهم كفار؟ لمّا قال إنه بريء منهم وإنهم برآء منه وإنه لو أنفق أحدهم من جبل أحُد ذهبا ما قُبل منه حتى يؤمن بالقدر، هل المقصود أنهم كفرة؟ عدم قبول العمل وإحباط العمل لا يلزم بالضرورة أن يكون صاحبه كافر، لأن الذي يشرب الخمر لا تُقبل له صلاة أربعين يوما، أو أربعين ليلة، كما قال عليه الصلاة والسلام، وعدم القبول لا يعني أنه لا يصلي، تلزمه الصلاة، وعدم قبول صلاته لا يعني أنه كافر، وكون عمله حبط لا يلزم كفره **(من ترك صلاةَ العصرِ فقد حَبِطَ عملُه)**[2]، فلا يلزم بذلك أن يكون كافرا.

فالحبوط على قسمين:

١= حبوط نسبي يزول بذلك من حسناته فلا يكفر، وهو الذي يسمى الكفر الأصغر، أو النفاق الأصغر، أو كفر دون كفر.

٢= وحبوط كلي وهو الذي به يكفر.

فالقدرية هل يكفرون؟ يقول أهل العلم هم على قسمين:

---

[1] [رواه الشيخان]
[2] [صحيح البخاري ٥٥٣]

أ=من ينكر العلم فيقول إن الله لا يعلم أفعال العباد حتى يقومون بها، فهؤلاء كفرة نص على ذلك الإمام أحمد، والإمام الشافعي وغيره.

ب= أما إذا لم ينكر العلم فلا يكفر، كما قال أهل العلم.

وهؤلاء الذين ينكرون العلم طائفة قد اندثرت، وبقي منهم أناس آخرون يثبتون علم الله جل وعلا، لكن فيهم في باب القدر بدع أخرى، فهؤلاء قسم آخر وهم لا يكفرون على تفصيل معروف في باب الاعتقاد.

فإذن قول ابن عمر هذا يحمل على هذا التفصيل كما أشار إليه ابن رجب رحمه الله وغيره.

فذكر ابن عمر الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، ورواه عن أبيه عمر وفيه رواية صحابي عن صحابي، وهذا من أنواع الحديث، وفيه رواية الابن عن أبيه وهو أيضا من أنواع علوم الحديث كما ذكر أهل العلم.

[مفردات الحديث]

قال عمر رضي الله عنه (**بَيْنَا نَحْنُ جُلُوسٌ**)، (بينا) ظرف أصله (بين)، ويقال (بينما) و(بينا) أي بين زمن وزمن، فهو ظرف زمني.

(**بَيْنَا نَحْنُ جُلُوسٌ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم**) وهذا كان من عادتهم رضي الله عنهم، يجلسون معه صلى الله عليه وسلم، ويسمعون لحديثه، ويأخذون عنه العلم.

(**إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ**) رجل، عمر رضي الله تعالى نكّره، قال (رجل) لا يعرفونه، وهو جبريل عليه السلام، ولم يعرفه الصحابة، وما عرفه النبي صلى الله عليه وسلم، وقد جاء في رواية (**والّذي نفسي بيدِه ما شُبِّه عليَّ منذُ أتاني قبْلَ مرَّتي هذه وما عرَفْتُه حتَّى ولَّى**)[1] أي خرج، لأن كان الغالب يأتيه على صورة دحية الكلبي رضي الله عنه، (رجل) ووصفه عمر.

[1] [صحيح ابن حبان ١٧٣]

(شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ، شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعْرِ) وهذا فيه إشارة إلى ما ينبغي أن يكون عليه طالب العلم، والحضور في مجالس العلماء، الاهتمام بهيئته وليس إلى درجة الخلود إلى الدنيا، أو المبالغة والافتخار ولكن المراد حسن الهيئة، **(شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ، شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعْرِ)** هاتان الكلمتان ذكرتا في المقدمة تعين على ما سيذكر بعده.

(لَا يُرَى عَلَيْهِ أَثَرُ السَّفَرِ، وَلَا يَعْرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ) ليس مسافرا، إذن ثوبه أبيض، وشعره أسود، فالثياب غير متسخة، الشعر غير مغبر، وهذا ليس مسافرا، ومادام ليس مسافرا فالأصل أن يُعرف، قال **(وَلَا يَعْرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ)**، لا أحد يعرفه من الصحابة الكرام رضي الله تعالى عن الجميع، ولهذا قدم بهذه المقدمة عمر رضي الله عنه.

(حَتَّى جَلَسَ إِلَى النَّبِيِّ)، هل خرق المجلس؟ هل تخطى الرقاب؟ ألم يستأذن؟ قال (يا محمد)، ألم يسلم! هذا جاء في روايات أخرى قال **(قال: أَأَدْنُو يا محمَّدُ؟ قال: ادْنُهْ، فما زالَ يقولُ: أَأَدْنو مِرارًا ويقولُ له: ادْنُ، حتَّى وَضَعَ يدَه على رُكبَتَيْ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وآلِه وسلَّم)**[1] وقبل ذلك سلّم فقال **(السلام عليكم)**.

(فَأَسْنَدَ رُكْبَتَيْهِ إِلَى رُكْبَتَيْهِ) هذا في أدب التعلم.

(وَوَضَعَ كَفَّيْهِ عَلَى فَخْذَيْهِ) هكذا جاء في الرواية -رواية مسلم- يعني ما فيه ما يدل على أنه على فخذيه أو فخذي النبي صلى الله عليه وسلم، فوضع كفيه على فخذيه، وفي رواية ذكرها ابن دقيق العيد على ركبتي النبي صلى الله عليه وسلم، وهذه تبين رواية مسلم.

(وَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ) لم يقل: يا رسول الله، يعني إشارة إلى أن لا يظهر حاله، فيعتقد السامع أنه ما دام لم يخاطبه بـ: يا رسول الله، أهو مؤمن أو لا؟ فلا يظهر حاله.

(أَخْبِرْنِي عَنْ الْإِسْلَامِ) أي ما هو الإسلام؟

---

[1] [إرواء الغليل ٣٣/١: صحيح]

[حقيقة الإسلام]

(فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) الْإِسْلَامُ أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ، وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إِنْ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلًا) فهذا هو معنى الإسلام، ففسر الإسلام بالأمور الظاهرة، وأصل الإسلام من أسلم يسلم إسلاما بمعنى استسلم، فهو يشمل معنى الخضوع، والخشوع، والذل، والانقياد، قال جل وعلا ﴿وَلَهُۥٓ أَسۡلَمَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ طَوۡعٗا وَكَرۡهٗا وَإِلَيۡهِ يُرۡجَعُونَ ٨٣﴾آل عمران٨٣، ﴿وَمَن يُسۡلِمۡ وَجۡهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحۡسِنٞ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰۗ﴾لقمان٢٢، فهذا معنى الإسلام، أن ينقاد، وأن يخضع وأن يتذلل، وأن يتبع، هذه حقيقة المسلم، وهذه حقيقة الإسلام، أما إذا صار يدعي أنه مسلم لكن لا ينقاد، لا يتبع، ولا ينصاع لما يمليه وتمليه عليه أركان الإسلام، وشرائع الإسلام، فهذا إسلامه فيه شيء، أين هذا الإسلام.

حقيقة الإسلام هو الخضوع، هو الخشوع، هو الذل، هو الانقياد، هو الإذعان، هو الاتباع، هو الائتمار، هو الامتثال، سمعنا وأطعنا، ﴿وَلَهُۥٓ أَسۡلَمَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ طَوۡعٗا وَكَرۡهٗا وَإِلَيۡهِ يُرۡجَعُونَ ٨٣﴾آل عمران٨٣هذه حقيقه الإسلام، فالمسلم حقيقة الإسلام هو الذي ينصاع بأعماله لدين الله تبارك وتعالى.

[الإسلام الأجوف!]

فإن كانت أعماله على غير دين الإسلام، فأيّ إسلام عنده؟ أين هذا الإسلام، يزعم أنه مسلم أين إسلامه؟ هو لم يسلم، الصلاة لا يصلي، الصيام لا يصوم، الزكاة لا يزكي، الحج لا يحج، لا يعتمر، ما فيه الكلمة الطيبة، الإحسان إلى الجار لا يوجد، إكرام الضيف لا يوجد، يربي نفسه وأهله لا يوجد!، الأمر بالمعروف غير موجود! بل النهي عنه!، النهي عن المنكر غير موجود بل أمرٌ به! أين هذا الإسلام؟ ثم يقول: كلنا مسلمون!، والله نفرح أن يكون كلنا مسلمين، وإنما نتعب في الله جل وعلا فندرّس وندعو ليكون الجميع مسلمين، فلا يحتاج أن تقول: كلنا مسلمون، لكن أين إسلامك فتواجه غيرك ممن يقول الربا حرام! تقول: كلنا مسلمون، وأنا لم أقل: لستَ بمسلم! أنا قلت: الربا حرام، لا يجوز أن يقوم اقتصاد

دولة مسلمة على الربا -على الحرام- الخمر حرام، لا يجوز أن يكون اقتصاد الدولة مبنيا على حرام، اختلاط النساء بالرجال، الرقص، الفساد، هذا الشر ... هذا ليس من الإسلام، فإنكارنا ليس معناه رمي غيرنا بعدم الإسلام، إنكاره لا يلزم أن يقول غيرك كلنا مسلمين، وكأن هذا ليس من الإسلام!، يعني تكلم في الزكاة والصلاة والإسلام والصدقة والحج فقط، لا تخرج عن غير هذا! لا، فكل الشرائع والأعمال تعدّ من الإسلام، فالذي يقول إنه مسلم لابد أن يظهر ذلك على أعماله، يظهر وبخاصة الاستسلام -سمعنا وأطعنا- هذا قاله ربنا؟ نعم، ومعناه كذا وكذا؟ نعم -سمعنا وأطعنا- فإن غلبته نفسه ومالت شهوته، وزلت قدمه، ووسوس له شيطانه فليقل: أستغفر الله وأتوب إليه، وهو مخطئ وهو عاص، لا يجادل ويعاند وتأخذه العزة بالإثم، ويناقش ما هو حق وواضح وظاهر.

إذن فحقيقة الإسلام هو الاستسلام، وذلك دين كلّ الرسل الإسلام، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُۗ﴾آل عمران١٩، ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰقَوۡمِ إِن كُنتُمۡ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيۡهِ تَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّسۡلِمِينَ ﴿٨٤﴾﴾ يونس٨٤، وقال أبناء يعقوب ﴿وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ﴿١٣٣﴾﴾البقرة١٣٣، وغيرهم من الأنبياء، كلهم دينهم الإسلام، وهو الاستسلام والخضوع والإذعان لله عز وجل.

فسر الإسلام هنا بالأعمال الظاهرة فقال (**الْإِسْلَامُ أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ**) الشهادة ليست مجرد نطق، إذا نطق بها حُكم له ظاهرا بالإسلام، فنلزمه بسائر الأركان، وأن لا ينكر ما هو معلوم من الدين بالضرورة، الربا حرام، الخمر حرام، نكاح المحارم لا يجوز، التبني حرام، ...الخ، نبين له هذا.

[شروط لا إله إلا الله وأدلتها]

لكن قوله (**لا إله إلا الله محمد رسول الله**) هذه تدخله إلى الإسلام، لكن لابد لها من وزن لتنفعه يوم القيامة، لأن النبي صلى الله عليه وسلم اشترط لأن تكون الجنة لمن كان آخر كلامه لا إله إلا الله شروطا، قال (**من كان آخرُ كلامِه لا إلهَ إلا اللهُ ، دخل الجنَّةَ**)[1]، لكن جاء في رواية (**من مات وهو يعلمُ أنَّه لا إلهَ إلَّا اللهُ دخل الجنَّةَ**)[2]، فلابد أن يقول (**لا إله إلا الله**) يعلم معناها، وأنه لا معبود بحق إلا الله،

[1] [صحيح الجامع٦٤٧٩]
[2] [صحيح مسلم٢٦]

وقال **(من قال لا إله إلا الله صدقا من قلبه)**[١] قالها وهو صادق، غير كاذب، دخل الجنة، **(مَن قال لا إلهَ إلَّا اللهُ يَبتَغي بذلكَ وجهَ اللهِ)**[٢]، الإخلاص، **(من قال لا إله إلا الله مستيقنا بها قلبه دخل الجنة)**[٣] يعني ليس شاكا، صدق من غير كذب، علم من غير جهل، يقين من غير شك، إخلاص من غير رياء، وأن يقبلها كما قال صلى الله عليه وسلم **(ولم يقبَلْ هدى اللهِ الَّذي أُرسِلْتُ به)**[٤] لا يردها، يقول: لا إله إلا الله، فإن قيل له إن الله يقول! ردَّا، أو قيل له رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول كذا ردَّ هذا الشرع.

وأن يحب هذه الكلمة لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال **(ثلاثٌ مَن كُنَّ فيهِ وجَد حلاوَةَ الإيمانِ : أن يكونَ اللهُ ورسولُه أحبَّ إليه مما سِواهما، وأن يُحِبَّ المرءَ لا يُحِبُّه إلا للهِ، وأن يَكرهَ أن يَعودَ في الكُفرِ كما يَكرهُ أن يُقْذَفَ في النارِ)**[5]، فلابد أن يحب هذه الكلمة -لا إله إلا الله- وقال تعالى﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ﴾البقرة١٦٥، فمحبة لا بغض فيها.

والانقياد -السابع- أن ينقاد لما تملي عليه هذه الكلمة: لا إله إلا الله، فلا إله إلا الله لا معبود بحق إلا الله، لا تدعو سيدهم غيلاس، ولا سيدهم غياث، ولا سيدهم يوسف، ولا سيدهم راشد، ولا سيدهم عبد القادر، ولا فلان، ولا علّان، لا تدع هؤلاء، لا تأتي إلى قبورهم وتدعو الله تعالى، لماذا لا تدعو الله في بيتك، أو في مسجدك حتى تأتي إلى القبر الفلاني وتدعو! وتقول ذاك الذي لم تطلع عليه الشمس إنه من الشرع! وإنه جائز! بل مشروع ومسنون، ويعتبر من أسباب استجابة الدعاء، فقط لا تدعُ الميت لكن تأتي إلى القبر وإلى الضريح وتدعو الله تعالى هناك.

فبالله عليك ما سبب تعظيم هذه البقعة؟ ما هو دليل تعظيم البقعة هذه!؟ أنس رضي الله عنه قال **(كنتُ أصلي قريبًا من قبرٍ، فرآني عمرُ بنُ الخطابِ رضيَ اللهُ عنهُ، فقال: القبرَ القبرَ. فرفعتُ بصري إلى السماءِ وأنا أحسبُه يقول : القمرَ)**[٦].

---

[١] [صحيح الجامع ٧٩٦٧]
[٢] [رواه الشيخان]
[٣] [نحوه في صحيح مسلم ٣١]
[٤] [رواه الشيخان]
[٥] [صحيح البخاري ٦٩٤١]
[٦] [تحذير الساجد٣٥: إسناده صحيح]

وأيضا رأى أبو هريرة وقد رأى رجلا راجعا، قال **(من أين؟)** قال **(من الطور)**، قال **(أما والله لو علمتك ذاهبا لمنعتك)**[1]، وفي الأثر أن عمر رأى الناس اجتمعوا حول الشجرة التي بويع فيها بيعة الرضوان، قال **(ما بالهم؟)** قالوا **(إنها الشجرة التي بويع فيها بيعة الرضوان)**، فقطعها، جاء الناس من العام المقبل، فلم يعرفوا موضعها، خشية أن يعظموها[2]، وماذا فعل بالرجل الذي وجدوه كبير الحجم طويل القامة قد أُكل شيء من أذنه يزعمون أنه دنيال، أمر ليلا أن يُحفر ثلاثة عشر قبرا، ويدفن ليلا حتى لا يُهتدى إلى قبره، لماذا فعل هذا عمر الذي طلعت عليه شمس الرسالة، فكان فارقا بين الحق والباطل.

ولكن ناقل الكلام هذا الذي يرى أن إتيان القبر جائز وهو من أسباب إجابة الدعاء ما طلعت عليه شمس الرسالة، لم تطلع عليه الشمس، وإن كان قال كلامه في رائعة النهار، لكن هو في ظلام، فأين لا إله إلا الله؟ أين الانقياد؟.

استمع والحظ إلى فعل المشركين، لما قال لهم النبي صلى الله عليه وسلم (لا إله إلا الله) أنكروها وقالوا - كما في سورة ص- ﴿أَجَعَلَ ٱلۡأٓلِهَةَ إِلَٰهٗا وَٰحِدًاۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٌ عُجَابٞ ۝٥﴾ص٥، ما به محمد جاءنا وآلهتنا كثيرة، رب واحد وهو الخالق المالك المدبّر، لكن الدعاء والتوسل والاستغاثة والذبح والنذر والتوجه إلى الآلهة وطلبها، ودعاؤها.. الآلهة كثيرة، قبيلة هذا عندها صنم، وقبيلة هذا عندها صنم، فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم: لا، تدعون إلها واحدا فقط، ﴿أَجَعَلَ ٱلۡأٓلِهَةَ إِلَٰهٗا وَٰحِدًاۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٌ عُجَابٞ ۝٥﴾!! هل انقادوا أو لا؟ لم ينقادوا فهل حُكم لهم بالإسلام أو بالكفر؟ وهم يقولون الله، ﴿وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۚ﴾لقمان٢٥، ﴿قُلۡ مَن يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ أَمَّن يَمۡلِكُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَمَن يُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَيُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتَ مِنَ ٱلۡحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُۚ فَقُلۡ أَفَلَا تَتَّقُونَ ۝٣١﴾يونس٣١، هل يناقش أبو لهب، أو أبو جهل، أو أمية، أو غيرهم من الكفرة، هل ناقشوا في أن الله الخالق الرازق مدبر الأمور المتصرف في الكون في الدنيا في أمور الناس؟ لا ينكرون، بدليل الآيات ﴿وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۚ﴾لقمان٢٥، ﴿وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡعَلِيمُ ۝٩﴾الزخرف٩، آيات كثيرة، كثيرة جدا، لكن لم

[1] [إرواء الغليل ١٤٢/٤: رجاله ثقات]
[2] [أخرجه ابن سعد في الطّبقات (١٠٠/٢)، وقال ابن حجر في الفتح ٥١٣/٧: إسناده صحيح، وقال العيني في العمدة ٢٩٤/١٧: إسناده صحيح]

يقبلوا أن يكون معبودا واحدا، يدعى، يُخاف، يرجى، يتوسل ويستغاث به، يُخشى يُتوجه إليه في الدعاء، في الذبح، في النذر، هذا ما قبلوه، قالوا: لا! فقال جل وعلا ﴿إِنَّهُمْ كَانُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٣٥﴾﴾ الصافات٣٥، ﴿أَجَعَلَ ٱلْءَالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًاۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ﴿٥﴾﴾ ، فلم ينقادوا إلى ما دلت عليه لا إله إلا الله، أي: لا معبود بحق إلا الله.

قال (**الْإِسْلَامُ أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ**) إذا قلتها دخلتَ في دائرة الإسلام، فإذا جاء الكافر وقال: أريد أن أسلم، قل: لا إله إلا الله محمد رسول الله، فإذا قالها دخل في دائرة الإسلام، ونبلغه بشرائع الإسلام تنفعه في الظاهر، له ما لنا وعليه ما علينا، يوم القيامة أي "لا إله إلا الله" تنفع صاحبها؟

ألم يأت في الحديث (**فيأتيهم ربهم فيقول ماذا تنتظرون، فيقولون: ننتظر ربنا، فيقول: أنا ربكم، فيقولون: نعوذ بالله منك، ثم يأتيهم جل وعلا في صورته، فيقول: أنا ربكم ماذا تنتظرون؟ فيقولون: ربنا، يقول: هل بينكم وبينه علامة، قالوا: نعم، فيكشف عن ساقه فيخرون سجدا، فمن كان يسجد رياء صار ظهره كطبق واحد كلما أراد أن يسجد انقلب إلى قفاه**)[1] هذا ألم يكن يقول "لا إله إلا الله"؟ كان يقولها، ماذا نفعته؟ ظاهرا في الدنيا كان يعامل معاملة المسلم، لأنه إذا جاء وقال "لا إله إلا الله محمد رسول الله" وصار يصلي ويزكي، قالها ظاهرا نحكم عليه بالإسلام، لكن أي "لا إله إلا الله تنفع صاحبها" الذي قالها يعلم معناها لا يجهل، والناس يختلفون في هذا، صادقا غير كاذب، مخلصا غير مراء، محبا غير مبغض، منقادا غير معرض، قابلا لها غير راد، يقينا من غير شك ولا تردد، مع الكفر بكل ما سوى الله تبارك وتعالى، كما قال جل وعلا ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥٦﴾﴾، ﴿إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ﴿٢٧﴾﴾ الزخرف٢٦-٢٧.

فإن شهادة أن "لا إله إلا الله" بشروطها، العلم بمعناها، أنها لا معبود بحق إلا الله، كل أنواع العبادة تصرف لله، سواء كانت عبادة قولية، عملية، قلبية، إذا قلتَ لله، إذا عملتَ -صدقة، زكاة، صيام، حج، كلمة طيبة، عمل صالح، تعين الأخ في رفع متاعه، تحسن إلى الجار، البشاشة في الوجه، أمر بمعروف، نهي عن منكر، تربية الأولاد، المعاشرة بالمعروف، حق الزمالة، حق الصديق، حق الوالدين، حق الأقارب

[1] [نحوه في الصحيحين]

...الخ- لله عز وجل، الأمور القلبية -تخاف الله تعالى، تخشاه، تتوكل عليه، تستعين به، تتوسل به، تستغيث به، ترجوه، ترهب منه، ترغب فيما عنده، إلى غير ذلك من الأعمال القلبية- كلها لله عز وجل، لا يصرف شيء من ذلك لغير الله.

تكون صادقا في هذه الكلمة غير كاذب، محبا لها، كل معنى تدل عليه هذه الكلمة لابد أن تحبه، هذه الكلمة تقول لك: تبغض الكافر، لا تحبه، كيف تحبه وتضع علمه على رأسك؟ أين هذه الكلمة "لا إله إلا الله"؟ تجعل علم كافر على رأسك!، ولربما هذا الكافر من أقوى الناس سعيا في نشر نصرانيته وكفره ودينه الباطل، نبغض الكافر لأنه كافر بالله عز وجل، أثمّ شيء أنجس من الكفر؟ ما يوجد، ﴿إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾، نجاسة معنوية ﴿فَلَا يَقْرَبُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَٰذَا﴾ التوبة٢٨. فمما تدل على هذه الكلمة معان كثيرة لابد أن تعمل بها إلى آخر الشروط التي ذكرناها وإن كان شرحها يطيل لكن إشارة أولى من أن تترك غامضة.

(أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ) والشهادة تعني القول، العلم، تشهد دون قول!! ذاك الأخرس الذي لا يتكلم، الذي لا يتكلم كيف يدخل الإسلام لابد أن يشير، يعني صلاته تكفي إذا جاء وصار يصلي أمامنا، هذا دليل إسلامه، لكن يشير إلى ما يدل أنه "لا إله إلا الله محمد رسول الله" إشارةً، وهل يجب أن يحرك لسانه بها كما قال بعض العلماء؟ هذا أولى، فيحرّك لسانه عند من يذكر عنده شهادته "أن لا إله إلا الله محمد رسول الله" يحرك بها لسانه، فإذن الشهادة تقتضي القول.

وتقتضي العلم، لا يمكن أن تشهد بلا علم، تقتضي الإعلان، تشهد بشيء تعلن به، وتقتضي الإخبار، والإعلان، والإعلام، والقبول، هذه هي الشهادة، أما إن لم تكن كذلك فترد على صاحبه، وإن زعم أنه يشهد، ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُوا۟ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ①﴾ المنافقون١، شهادة كاذبة، لم تأت بشروطها وأمورها التي لا بد منها، فإذن يا إخوان هذه الكلمة لابد أن نفهمها، ديننا مبني على هذه الكلمة "لا إله إلا الله محمد رسول الله".

وقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية في ثنايا كتبه العديد من المرات: مبنى الدين على "لا إلٰه إلا الله **محمد** رسول الله" إذا فهمنا هاتين الكلمتين قد فهمنا أصل هذا الدين، فهمنا هذا الدين، لأنه مبني على "لا إلٰه إلا الله **محمد** رسول الله" صلى الله عليه وسلم، **(أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ).**

لعلي أكتفي بهذا في هذا اليوم، ونتم في درس قادم إن شاء الله تعالى.